

• المحاضرة الثانية

❖ المبحث الثاني: أحاديث ورد فيها ذكر الإصلاح

✓ الحديث الأول

ما رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام، والصدقة؟)) قالوا: بلى، قال: ((إصلاح ذات البين؛ فإن فساد ذات البين هي الحالقة)).

ثم قال الترمذي بعد تصحيحه للحديث: ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((هي الحالقة، لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين)).

ابتدأ النبي صلى الله عليه وسلم هذا الحديث بأداة التنبيه: «ألا»، وهي تقتضي أهمية المنبه عليه وهو هنا: الإصلاح، وأخبر أنه أفضل من درجة الصلاة، والصيام، والصدقة.

قال الطيبي في شرح هذا الحديث:

«فيه حث وترغيب في إصلاح ذات البين، واجتناب عن الإفساد فيها؛ لأن الإصلاح سبب للاعتصام بحبل الله وعدم التفرق بين المسلمين، وفساد ذات البين تلمة في الدين، فمن تعاطى إصلاحها ورفع فسادها نال درجة فوق ما يناله الصائم القائم المشتغل بخويصة نفسه».

✓ الحديث الثاني

روى البخاري في التاريخ الكبير والبيهقي في شعب الإيمان، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((ما عمل ابن آدم شيئاً أفضل من الصلاة، وصلاح ذات البين، وخلق حسن)).

يدل هذا الحديث العظيم على فضل الإصلاح، حيث أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم أنه ما عمل ابن آدم عملاً أفضل من الصلاة، وصلاح ذات البين، وخلق حسن يتخلق به المسلم، فقد جعل إصلاح ذات البين من أفضل الأعمال التي يعملها ابن آدم، وهذا لا شك يدل على فضله وأهميته.

✓ الحديث الثالث

الحديث الثالث: روى الطبراني والبخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أفضل الصدقة إصلاح ذات البين)).

يبين النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أن أفضل الصدقة هو إصلاح ذات البين، وذلك لنفعه المتعدي؛ لأن به يزول الشقاق والاختلاف والعداوة، وتحصل الإلفة والمحبة والاتفاق، وفي ذلك دلالة واضحة على فضله وأهميته.

✓ الحديث الرابع

روى البخاري عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي أيوب: ((ألا أدلك على تجارة؟))، قال: بلى، قال: ((صل بين الناس إذا تفاسدوا، وقرب بينهم إذا تباعدوا)).

ورواه الطبراني عن أبي أمامة بلفظ: ((ألا أدلك على عمل يرضاه الله ورسوله؟)) قال: بلى، قال: ((صل بين الناس إذا تفاسدوا...)) فنكره.

ورواه الطبراني أيضاً عن أبي أيوب، قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يا أبا أيوب، ألا أدلك على صدقة يحبها الله ورسوله؟ تصلح بين الناس إذا تباعدوا وتفاسدوا)).

ورواه عبد بن حميد والطيالسي بلفظ: ((يا أبا أيوب، ألا أدلك على صدقة يرضي الله ورسوله موضعها؟))، قال: بلى، قال: ((تصلح بين الناس إذا تفاسدوا وتقرب بينهم إذا تباعدوا)).

لقد تضمن هذا الحديث الشريف بمجموع طرقه وألفاظه فضل الإصلاح من وجوه:

- **الأول:** افتتاح الكلام بأداة التنبيه «ألا»، وهذا يقتضي أهمية الأمر وحتمية الانتباه له.
- **الثاني:** أنه سماه تجارة، وهو من التجارة الرباحة عند الله.
- **الثالث:** أنه سماه عملاً يرضاه الله ورسوله.
- **الرابع:** أنه سماه صدقة يرضاها الله ورسوله.

وهذا يدل على فضل الإصلاح وأهميته، ومحبة الشارع له، والمسلم يحرص على ما يحبه الله ورسوله ويرضاه، ويسعى لتحصيله، ويبادر إلي العمل به.

✓ الحديث الخامس

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((كُلُّ سَلَامٍ مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ: تَعْدِلُ بَيْنَ الْأَثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ خَطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ)).

لقد ركب الله الإنسان من ثلاثمائة وستين مفصلاً كما في الحديث الصحيح¹، فينبغي له كلما طلعت شمس يوم كما في هذا الحديث أن يتصدق بعدد مفاصله ليشتري نفسه من ربه، وقد جاء في هذا الحديث جملة من الأعمال الصالحة التي إذا فعلها المسلم كان له بها صدقة، وذكر من بينها الإصلاح بين الناس بقوله ((تعديل بين اثنين صدقة))، وهذا فيه بيان فضل الإصلاح والحث عليه.

✓ الحديث السادس

ما رواه أحمد والترمذي عن أسماء بنت يزيد قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا يحل الكذب إلا في ثلاث: كذب الرجل امرأته ليرضيها، والكذب في الحرب، والكذب ليصلح بين الناس)).

بين النبي صلى الله عليه وسلم أن الكذب لا يحل إلا في ثلاث خصال، وهذا يدل على أن الأصل أن الكذب حرام لا يحل، لكن إذا كان من أجل الإصلاح بين الناس إذا اختلفوا، أو من أجل مصلحة الإسلام والمسلمين في الحرب؛ لأن الحرب خدعة، أو كان من أجل أن يرضي الرجل امرأته أو من المرأة مع زوجها كذلك كان جائزاً.

قال الخطابي: «الكذب في الإصلاح بين اثنين: هو أن ينمي من أحدهما إلى صاحبه خيراً، ويبلغه جميلاً، وإن لم يكن سمعه منه، يريد بذلك الإصلاح».

قلت: فجواز الكذب من أجل الإصلاح دليل على فضله وتطلع الشارع إليه.

¹ ولفظه: (إِنَّهُ خُلِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنَى آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةِ مَفْصَلٍ...) رواه مسلم في صحيحه.

✓ الحديث السابع

روى أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه عن أبي هريرة، وعمر بن عوف المزني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((الصلح جائز بين المسلمين، إلا صلحا حرم حلالا أو أحل حراما، والمسلمون على شروطهم، إلا شرطا حرم حلالا أو أحل حراما)).

دل هذا الحديث على أن الصلح جائز، إلا إذا حرم حلالا أو أحل حراما، فيؤخذ منه جواز الصلح وإباحته، ولزومه يؤخذ من النصوص الأخرى.

قال الشوكاني: «قوله: ((الصلح جائز)): ظاهر هذه العبارة العموم، فيشمل كل صلح، إلا ما استثنى، ومن ادعى عدم جواز صلح زائد على ما استثناه الشارع في هذا الحديث فعليه الدليل».

✓ الحديث الثامن

روى البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه: أَنَّ أَهْلَ قُبَاءٍ افْتَتَلُوا حَتَّى تَرَامُوا بِالْحَجَارَةِ، فَأَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ، فَقَالَ: ((أَذْهَبُوا بِنَا نُصْلِحْ بَيْنَهُمْ)).

هذا الحديث يدل على فضل الصلح من فعل النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه أمر أصحابه بالذهاب معه إلى أهل قباء من أجل الإصلاح، وسيأتي في ذكر أمثلة الإصلاح في السنة ذكر إصلاحه بين أهل قباء مفصلا.

✓ الحديث التاسع

روى أحمد، والبخاري، وأبو داود، والنسائي عن أبي بكرة: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ((إِنِ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ)).

يدل هذا الحديث على فضل الإصلاح من جهة أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن الحسن سيد، وذكر بعده ما هو بمثابة التعليل لسيادته، وهو الإصلاح بين فتنين عظيمتين.